الغزو والاحتلال الايطالي لليبيا:

في الصحافة العربية

موقف مجلة المنار المصرية

د . احمد ابراهيم دياب*

مقدمة :ـ

في هذا البحث ساتناول في اطار « الغزو والاحتلال الايطالي في الصحافة العربية »دور مجلة « المنار » ـ ؟التي كانت تصدر في مصر ، والتي عاصرت احداث الغزو الايطالي للاراضي الليبية ـ تجاه هذا الحدث .

والمنار مجلة شهرية ذات نزعة اسلامية « عثمانية » سارت على منهج وفكر الوحدة الاسلامية ، او الجامعة الاسلامية ، او الجامعة العثمانية التي تجمع وتوحد الشعوب المتداخلة في الدولة العثمانية تحت اطار واحد مثلما كانت عليه الدولة الاسلامية في عصور ازدهارها ؛ ومثلما كانت عليه الدول الاسلامية التي سبقت العثمانية سواء أكانت : الفاطمية ، او العباسية او الاموية ، والتي لم تقم على اساس عنصري بل اخذت اسمها من مؤسسيها لا كدلالة على سيطرة بيت او عنصر او جنس على بقية شعوب الدولة .

ومن ثم كانت العثمانية كلمة مرادفة للاسلامية مثلها في ذلك مرادفة العربية للاسلامية في افريقيا حيث لا فرق عندهم بين العربي والمسلم فكل من الكلمتين تعريف لشخص واحد .

لقد كان مؤسس ورئيس تحرير مجلة « المنار » محمد رشيد رضا الحسيني من تلامذة الشيخ محمد عبده وقد سار التلميذ على خط استاذه في الدعوة للجامعة الاسلامية والدعوة للصحوة الاسلامية واصلاح امر

---

* رئيس قسم البحوث والدراسات التاريخية ـ معهد البحوث والدراسات ـ بغداد .

الدولة . وقد بينت المنار في تصدير عددها الاول الذي صدر في شوال ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) من انها ستهتم بالاصلاح الديني والاجتماعي للامة الاسلامية ولمن يعيش معها وتتصل مصالحه بمصالحها وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل .

لقد اعتبرت المنار مسالة الغزو والعدوان الايطالي على ليبيا ليس موجها ضد الاراضي الليبية والدولة العثمانية فقط بل هو بمثابة غزو صليبي على الاراضي والشعوب الاسلامية . واول مقالات كتبتها «المنار» كانت في صحيفة « المؤيد » اليومية تحت عنوان « المسالة الشرقية » في عدد يوم ١١ شوال ١٣٢٩ (الموافق ٤ اكتوبر ١٩١١ م) ، وذلك قبل صدور الجزء العاشر من المجلد ١٤ الذي صدر في ٢٩ شوال ١٣٢٩ (الموافق ٢٢ اكتوبر ١٩١١) ، لان معالجة المسالة بالنسبة لها اسرع من انتظار العدد الشهري . وقد اعادت نشر المقالات في المجلة ابتداء من الجزء العاشر في باب المقالات تحت عنوان « المسالة الشرقية واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب » من ص ٧٥٠ الى ص ٧٥٥ « وفي نفس العدد ، وفي باب الاخبار التاريخية والاراء ، كتب موضوع « محاربة ايطالية لطرابلس الغرب » كما اوردت انذار ايطاليا للدولة العثمانية ورد الدولة العثمانية على الانذار .

وفي الجزء الحادي عشر من المجلد ١٤ الذي صدر في ٣٠ ذي القعدة / ١٣٢٩ (الموافق ٢١ نوفمبر ١٩١١ م) ، وتحت باب المسالة الشرقية كتبت المقالة الثانية تحت عنوان « ما يجب على المسلمين والعثمانيين من مساعدة الدولة ـ صفة العناصر العثمانية ومكانة السلطة الاسلامية من اهلها » ، وفي نفس العدد كتبت المقالة الثالثة للمسالة الشرقية تحت عنوان « ما يجب من العبرة والاستفادة من هذه الشدة » ، والمقالة الثالثة تحت عنوان « الاعتبار بالمقارنة بينها وبين الجامعة الاسلامية » وواصلت المجلة اعادة نشر مقالاتها في المسالة الشرقية التي نشرتها في جريدة المؤيد .

وفي نفس الجزء كتبت مقالا بعنوان « مقدمات الحرب في طرابلس الغرب » وهو مقال نشر في المؤيد ورات ادارة المجلة اعادة نشره ، كما نشرت ترجمة للتقرير الذي قدمه مبعوثا طرابلس الغرب لمجلس المبعوثين وطلبا فيه محاكمة « حقي باشا » .

وفي الجزء الثاني عشر من المجلد ١٤ الذي صدر في ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٩ (الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩١١ م) واصلت المنار نشر مقالات

المسألة الشرقية حيث نشرت المقالة السادسة تحت عنوان « بعض ما يجب من العبرة في الحالة الحاضرة » . وفي نفس العدد نشرت المقالة السابعة تحت عنوان « اماني ايطالية وظنونها في مسألة طرابلس الغرب » ، ثم نشرت المنشورات التي وزعتها ايطاليا في طرابلس تحت عنوان ... « منشورات ايطالية الخداعية في طرابلس الغرب » ؛ كما نشرت في نفس العدد تحت عنوان « اعانة امير افغانستان وكبراء قومه لاهل طرابلس الغرب » . وفي باب الاخبار والآراء نشرت تحت هذا الباب مقالا بعنوان « كتاب رصيف ورأي حصيف في المساعدة على الحرب بطرابلس الغرب » ، لشكيب أرسلان .

وفي الجزء الاول من المجلد الخامس عشر الذي صدر في محرم ١٣٣٠ هـ / (الموافق يناير / ١٩١٢ م) واصلت نشر مقالات في « المسألة الشرقية » حيث نشرت المقالين الثامن والتاسع تحت عنوان « ما يجب من اعانة الدولة العلية بانجاد طرابلس الغرب » ، كما نشرت المقال الاخير تحت عنوان « خاتمة المقالات شجون ومحاور » .

و الجزء الثاني من المجلد ١٥ ، الذي صدر في فبراير ١٩١٢ صفر ١٣٣٠ هـ نشرت المنشور الذي وزعه احمد الشريف السنوسي تحت عنوان « دعوة سيدي احمد الشريف السنوسي الى جهاد الايطاليين في طرابلس الغرب وبرقة » .

وفي الجزء الثالث من المجلد ١٥ مارس ١٩١٢ ربيع اول ١٣٣٠ نشرت مقالا تحت عنوان « اوربا والعالم الاسلامي » . وفي الجزء الرابع واصلت المجلة نشر اخبار الغزو الايطالي والتعليق عليه فنشرت مقالا بعنوان « اتفاقيات سرية على مراكش والعجم وطرابلس الغرب » نقلا عن صحيفة « الافكار » العدد رقم ٦١٥ والتي تصدر في سان باولو بالبرازيل . وفي الجزء السابع يوليو ١٩١٢ م ، نشرت مقالا بعنوان « طريقة السنوسية وزواياها بين الاسكندرية ودرنة » ، بقلم زيد الخير نقلا عن جريدة المؤيد العددين ٦٦٢٨ و ٦٦٤٨ . وفي الجزء الحادي عشر نوفمبر ١٩١٢ م كتبت مقالة عن « العناصر العثمانية الاتحاديون ومفاسدهم واعوانهم » كما نشرت في نفس العدد خبر « الصلح بين الدولتين العثمانية والايطالية » .

اما المجلات الاخرى في مصر فلم تكن هناك سوى مجلة « الهلال » التي اسسها جرجي زيدان في سبتمبر ١٨٩٢م وهي مجلة يمكن ان نقول انها علمانية ذات نزعة انفصالية عن الدولة العثمانية فقد كانت تدعو للمصرية بدلا من القومية العربية او العثمانية التي حملت لواء الدعوة لها مجلة المنار .

ليبيا قبل الغزو الايطالي : ـ

تميز الربع الاخير من القرن التاسع عشر بصراع محموم بين الدول الاوربية من اجل السيطرة والاستعمار وتكالب مستمر لاقتسام القارة الافريقية . وكانت ايطاليا من اواخر الدول التي دخلت ميدان التكالب بعد ان وضحت معالم وحدتها في النصف الثاني من القرن نفسه .

بدأ الايطاليون ينظرون الى البحر الابيض تدفعهم عوامل طبيعية واقتصادية وسياسية وتاريخية ، فقد بدأ التجار الايطاليون يفدون الى ساحل شمال افريقيا مع بداية العصر الحديث وتطلعوا الى دواخل القارة ، هذا بالاضافة الى الروح القومية التي اضفت على الشعوب الاوربيه تكالبا وتسابقا استعماريا . وبدأ كل تجمع او دولة ينظر الى نفسه من مرآة القوة الاستعمارية التي لديه . ولذلك حين قام الرحاله الاوربيون بجولاتهم بحثا عن المعرفه التي غابت عنهم طوال فترة العصور الاوربية المظلمة ، اهتمت شعوبهم ودولهم بالاخبار التي بدأوا يرسلونها ولقد كان لايطاليا نصيب في هؤلاء الرحالة مثل كولمبس وفيسبوشي ، وجارنيلدي الذي وصل في اسفاره حتى الصين وامريكا الجنوبية(١) .

ولتقنين هذه الرحلات والحث عليها انشأوا الجمعيات الجغرافية والتاريخية والتي كان لتاسيسها اكبر الاثر في دفع حركة الاستعمار ، ولعل من اهمها بالنسبة لحديثنا هذا ، الجمعية الانجليزية لاكتشاف افريقيا الوسطى وجمعية ميلانو الجغرافية وجمعية باريس الجغرافية . ومن بين المناطق التي اهتم بها الرحالة والذين كانوا بحق طلائع الغزو الاستعماري ـ البلاد العربية وكان لليبيا على الخصوص نصيب كبير من اهتمامهم باعتبارها بوابة افريقيا كما كانوا يسمونها وذلك لاهمية موقعها في افريقيا . فهي تقع في وسط الشمال الافريقي ولها ساحل طويل على البحر المتوسط وتتصل بالصحراء فكانها باب افريقيا من الشمال والجسر الذي يصل بين المشرق والمغرب العربي .

وزار ليبيا من الرحالة الاوربيين عدد ليس بالقليل مثل رنيس وكابتن ليون ، وغوردن لانج ، وسميث ، وريتشاردسون من انجلترا ، وهنري لوت ، وهنري دوفيريه من فرنسا ، وباريس وناختنجال وبارت من المانيا . اما من ايطاليا فقد زارها كل من باولو ديلاستيلا طبيب محمد بك القرمانلي والطبيب رفيللي ، وسلفاتورى التوسكاني ، وكورا ، وبعثة جريجوري اليهودية ، وبعثة ناحوم سلوش اليهودية .

هذا وقد تميز هؤلاء الرحالة وغيرهم ، من الذين دخلوا مناطق اخرى من الوطن العربي ، بحقد صليبي على الاسلام واهله ولم يكن هؤلاء الرحالة جميعهم الا خيوطا في لحمه النسيج الازلي في الصراع بين الشرق والغرب · هذا الصراع الذي ساد تاريخ العالم في كل العصور على الاطلاق · وكان الايطاليون من غلاة المتعصبين ضد الاسلام · ولذلك كان اول روادهم في الدول الاسلامية هم المبشرون في الصومال واريتريا . وقد اشتهر منهم المبشران سابيتو SABITO وماساجا · كما تجلت الروح الصليبية خلال الحرب الطرابلسية الايطالية حيث صبغ الايطاليون حملتهم بالصبغة المسيحية فباركها البابا واصطحب الجنود معهم القساوسة ليقوموا بتقديم الطقوس الدينية وصلوات الشكر(٢) ·

وقد صاغ الشعراء في ايطاليا الاناشيد لحض وتشجيع الشباب على حرب المسلمين وكانوا يوصون امهات الجند ان لا يبكين او يرثين ابناءهن لانهم ابطال ماتوا شهداء في محاربة الاسلام والمسلمين(٣) ·

اما عن الوضع السياسي في ليبيا قبيل الغزو الايطالي ، فقد تتابع على كرسي الولاية في طرابلس بين عامي (١٨٨٢ ـ ١٩١١) تسعة ولاة على مدى هذه الفترة القصيرة · حكم واحد منهم نصف هذه المدة وهو احمد راسم باشا (١٨٨٢ ـ ١٨٩٦) · وكانت طرابلس تعتبر من الولايات البعيدة عن الدولة العلية العثمانية وعن العاصمة استانبول · وقد ظهرت اثناء العهد الحميدي محاولات الاصلاح التي هي ايضا من خصائص عهد التنظيمات والتي قويت مع اشتداد الاخطار على طرابلس في محاولة لانقاذ مايمكن انقاذه · وكانت هذه المحاولات ايضا رد فعل للخطر الاوربي · وقد اندفعت الدولة للقيام بها في شتى المجالات بعد احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ ، ثم اندفعت مرة اخرى وبقوة اعظم بعد احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ ، واحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ اذ شعرت الدولة بالخطر محدقا بالولاية · ولكن محاولات الاصلاح العثمانية في طرابلس لم تاخذ مداها ولم تثمر الا نتائج قليلة شانها في في ذلك شان محاولات الاصلاح العثمانية في مركز الدولة وبقية ولاياتها(٤) ·

وقد وصفت مجلة المنار ـ في الجزء العاشر من المجلد الرابع عشر حالة ليبيا ، او كما كانت تسميها طرابلس الغرب تحت عنوان « محاربة ايطالية لطرابلس الغرب » « نعني بطرابلس الغرب الاقليم الواقع بين القطر المصري والقطر التونسي ومنه برقة المعبر عنها في عرف الدولة بمتصرفية بنغازي وهو مملكة كبيرة مساحتها اربعمائة الف ميل او

تزيد ، ولكنها لسوء الادارة والظلم والفوضى قد غلب عليها الخراب وقل فيها السكان ، فاهلها يقدرون بمليون ونصف يدخل في ذلك بدوهم مع حضرهم ، وموقع هذه المملكة البحري والتجاري عظيم وقابل للعمران والترقي ، وقد كنا نسمع منذ وعينا ان دولة ايطالية طامعة فيها وكانت الحكومة الحميدية على سيئاتها قد عنيت بتعليم اهل طرابلس النظام العسكري فانشأت فيها فرقا من الفرسان « الالايات الحميدية » كما فعلت في بلاد الاكراد ، فقلنا يومئذ ان للسلطان عبدالحميد في هذه الدولة حسنتين ـ سكة الحديد الحجازية والالايات الحميدية . وقد اقترحنا على الدولة العلية منذ اكثر من عشر سنين ان تعمم التعليم العسكري في طرابلس الغرب وفي سائر الاقطار العثمانية وتجعل فيها مستودعات للسلاح ليكون الاهالي مستعدون للدفاع عن انفسهم اذا فاجأهم الطامعون وتعذر على الدولة ان تمدهم بالجند الكافي ، بل قلنا أن الطامعين اذا علموا ان اهل البلاد مستعدون للحرب والكفاح يحجمون عن مهاجمة البلاد لان اوربا ـ ولا خوف الا منها ـ تؤثر الفتح السلمي الذي لا تخسر فيه كثيرا من ابنائها واموالها على الفتح الحربي .

..... ثم زالت الحكومة الحميدية وحلت محلها الحكومة الجديدة ، التي سيطرت عليها جمعية الاتحاد والترقي بقوة الجيش وديوان الحرب العرفي ، فكان حظ طرابلس الغرب في عهد هذه الحكومة شرا من حظها في زمن عبدالحميد ، فقد اضعفت وزارة « حقي » حاميتها ، ومهدت السبيل لتعجيل ايطالية باحتلالها ....(٥) .

اما عن الحالة الاقتصادية فقد كانت احوال الولاية الاقتصادية منتعشة نسبيا وذلك بفضل محاولات الاصلاح العثمانية ، قبل وصول جماعة الاتحاد والترقي ، التي جرت فيها ، ولكن حدث ان تأثرت احوال الولاية الاقتصادية بسبب القحط الذي اصاب الولاية في بعض السنين بشكل يكان يكون دوريا ، كما ساءت هذه الاحوال بسبب ما طرأ من تحول على تجارة القوافل في تلك الفترة اي اواخر القرن التاسع عشر على وجه الخصوص نتيجة لتحول طرق القوافل بعد الاحتلال الفرنسي لكل من الجزائر ثم تونس ، وما يعرف الان باسم النيجر ومالي ثم تشاد ، حيث تمت عملية الحصار الاقتصادي على ليبيا ولا ننسى وجود الاستعمار البريطاني في كل من مصر والسودان فتعاون وتكاتف الاستعمار الاوربي مع بعضه لاحكام الحصار عليها لصالح ايطاليا .

اشتهرت ليبيا بتجارة القوافل عبر الصحراء مما جعلها تلعب دورا كبيرا في ميدان الصحراء وقد حملت تجارة القوافل مع البضائع الى غرب

افريقيا ثقافة المسلمين في الشمال التي حكمت دون غيرها من الثقافات تطورهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وكانت طرابلس الغرب بحكم موقعها الجغرافي قد تهيأت لان تكون حلقة الوصل بين غيرها . فلقد تطورت تجارة القوافل عبر العصور حتى بلغت ذروتها في الفترة بين عامي ١٨٧٢ ـ ١٨٨٢(٦) . اذ سجلت ٤٠ الف ليرة تركيه وانخفض هذا المبلغ في الفترة ما بين ١٨٩٢ ـ ١٩٠١ اي فترة الحصار الاقتصادي الى ٢٥ الف ليرة وعلى الرغم من الحصار فان طرابلس كانت محتكرة تجارة القوافل حتى ١٩٠٥(٧) . ولكن في السنوات التالية تناقصت واضمحلت هذه التجارة مما ادى الى نقص دخل الدولة من الضرائب وغيرها .

اما عن الزراعة فقد اهتم أحمد راسم وغيره من الولاة بها وبذلوا جهودا كبيرة وقد اعترف الايطاليون بان الاتراك حاولوا رفع مستوى الزراعة وتشجيعها(٨) . فقد حفرت حكومة الولاية الآبار الارتوازية لتذليل عقبة نقص المياه وظهر العمران بشكل عظيم . كما ان حكومة الولاية اوجدت صندوق المنافع العمومية للتسليف الزراعي سنة ١٢٨٦هـ وكانت تجمع نقوده من الاهالي ثم تقوم بتسليفها للمزارعين(٩) .

اما الصناعة فكانت تسير على النمط التقليدي كما في المنطقة ككل ، فقد كانت في مقدمة صناعات الولاية حياكة القطن والصوف والحرير ، وكانت صناعة السجاد مزدهرة في مصراتة وبلغ معدل الانتاج كل عام حوالي سبعة الاف سجادة كانت تصدر الى مصر واستانبول كما ازدهرت صناعة النسيج وصناعة الحصر والدباغة وصناعة الصابون والصناعات الذهبية والفضية والعاجية وكذلك صيد الاسماك والاسفنج والملح وصناعة الدخان والفخار وعندما جاء الاحتلال الايطالي لم يشجع على تعزيز هذه الصناعات لان ليبيا كانت سوقا مربحة للصناعات الايطالية(١٠) .

وقد كان لتأسيس مدرسة الفنون والصنائع في مركز الولاية عام ١٨٩٩ اثاره الملموسة في تقدم بعض هذه الصناعات حيث جرى تدريب التلاميذ عليها فاصبحوا حرفيين متخصصين(١١) . اما عن الحالة الاجتماعية فنجد ان معظم سكان الولاية من اهالي البلاد الاصليين ؛ ووجدت جاليات اجنبية صغيرة تركزت في مدينة طرابلس . وكانوا يكونون وحدة دينية الا من اقلية يهودية ، فكل الاهالي يدينون بالاسلام وكانوا متجانسين الى حد بعيد فجميعهم يتكلمون اللغة العربية واغلبهم يتبعون المذهب المالكي الا بعض اهالي الجبل الغربي وبلدة زوارة

الساحليين الذين يتبعون المذهب الاباضي · وقد تجلت عروبة اهل الاقليم في اللغة والدين والانتساب ·

وشكل اليهود كمية كبيرة في الولاية واقاموا في اكثر بلدانها وكانت لهم في مدينة طرابلس (حارة) خاصة بهم وقد عني الرحالة بوصف اساليب معيشتهم ونعوا عليهم قذارتهم · وكان المسيحيون محصورين في مدينتي طرابلس وبنغازي « وكانت غالبيتهم من المالطية والطليان وقد قدر عددهم بثلاثة الاف مالطي والف ايطالي ···· »(١٢) وضمت الولاية في تلك الفترة مجموعة من رعايا الدولة العثمانية عاشوا فيها كمنفيين . فقد جعل الباب العالي طرابلس الغرب منذ فترة طويلة احد المنافي التي يبعد المنفيون اليها · وكانت الحياة في ليبيا تسير على نمط الحياة العربية عموما · وقد حرص الرحالة الاجانب على وصف مظاهرها وصفا تفصيليا واهتم الرحالة ايضا بوصف مدينة طرابلس الغرب والبلدان والمواقع التي زاروها ومروا بها ·

الاطماع الايطالية : ـ

كتبت مجلة المنار في عددها الحادي عشر الصادر في ٣٠ ذى القعدة ١٣٢٩ هـ (الموافق ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١ م) مقالا حول الاطماع الايطالية في طرابلس او اسباب ومقدمات الغزو الايطالي لطرابلس · وقد كتب المقال بعض الذين كانوا موظفين في طرابلس قبيل الحرب في جريدة المؤيد واعادت المنار نشره فجاء فيه « يعلم كل من له اقل عناية بتتبع سياسة ايطاليا في طرابلس الغرب ان هذه الحكومة ما زالت موجهة نظرها واملها الى هذه الولاية منذ خمسة وعشرين عاما او اكثر قصد الاستيلاء عليها بالسلم او بالحرب لما لايالة طرابلس من الاهمية الكبرى لاحتوائها على معادن شتى ولان سعتها تبلغ ثلاثة اضعاف سعة البلاد الايطالية من اعلاها الى ادناها وكانت ايطالية تحاذر ان تتعرض للاستيلاء على طرابلس الغرب بالقوة الحربية مع ما تعلمه من انقطاع هذه الولاية عن عاصمة الملك العثماني وبُعدها عنها وعن سائر بلاد السلطنة وضعف القوة البحرية العثمانية لانها كانت ترى ان استيلائها على طرابلس لم يكن يوافق مصلحة انجلترا وفرنسا لاسباب لا حاجة الان الى شرحها ·

ولهذا طرقت للوصول الى هذا الامل مسالك اخرى فنصبت لذلك مدارسها فيها اولا ، اذ اسست في طرابلس الغرب مدارس ايطالية كثيرة واختصت للانفاق عليها الالاف من اموال خزينتها قاصدة بذلك

ان تشيع اللغة الايطالية بين عرب طرابلس وتؤلف قلوب الاطفال والناشئة . وقد ادرك وزيرنا الغيور المرحوم احمد راسم باشا يوم كان واليا على طرابلس ما ترمي اليه ايطاليا من هذا العمل فجعل يقاومه بالوسائل المشروعة وينبه الاهالي الى ما عرفه من حقيقة امر هذه المدارس وانها لا توافق مصلحة المسلمين ، وكان له من العلماء والمدرسين عضد ومساعد على نشر هذه النصيحة بين الطرابلسيين « العصمانيين » الى ان نجح في عمله واتفق مع الجمهور على انقاء هذا النفخ السياسي فلم يكن يوجد في صفوف هذه المدارس غير نفر قليل من اطفال اليهود الفقراء . ومهما كانت الحال فان ايطاليا جنت شيئا من ثمار هذه المدارس لان الذين تخرجوا فيها من شباب اليهود صاروا يخابرون غرف التجارة في ايطاليا ويستجلبون بضائع الايطاليين ومصنوعاتهم وينشرونها في طرابلس وينشرون معها اللغة الايطالية حتى بلغ مقدار الذين يتكلمون بالايطالية من الموسويين (يقصد بهم اليهود) وبعض المسلمين ثلاثين في المائة من اهل مدينة طرابلس مع ان الذين يتكلمون بالتركية لا يبلغون خمسة في المائة .

على ان هذا كله لم يقنع اصحابنا الايطاليين بل زاد في اطماع حكومتهم فقامت جرائدهم تنتقد خطب السنيور « كريسبي » وحزبه قائلة ان ما انفق على هذه المدارس كان اعظم من الثمرات التي جاءت بها وان المصلحة تقضي باقفالها ما دامت كذلك ، اما الحكومة فلم تلتفت الى اقوال الصحافيين بل اصرت على المثابرة في هذه الخطة وظلت تصرف مرتبات موظفي هذه المدارس ونفقاتها ، ودامت الحال على ذلك الى ان انعقد « مؤتمر الجزيرة » فتقرر ان لا تعارض الحكومات الموقعة على صك المؤتمر شيئا من المصالح الاقتصادية والسياسية التي للايطاليين في طرابلس الغرب ، ومن ذلك الحين اسست ايطاليا في طرابلس الغرب فرعا لبنك « دى روما » فكان هذا البنك قطب رحى المصائب على هذه الولاية العثمانية والمصدر لكل دسيسة سياسية ، زد على ذلك ان الثلثين من رأس مال (بنك دى روما) هى للحضرة البابوية والثلث الاخر للحكومة الايطالية .

فاسست هذا البنك فعلا في طرابلس ولم تلاحظ في تاسيسه حرمة البلاد واحكام قوانينها ، وبيان ذلك ان القانون يقضي بان لا يؤسس مرفق من المرافق المالية الاجنبية في سلطنة آل عثمان الا بارادة سلطانية وفضلا عن ذلك فان الخاص والعام يعلم ان هذا البنك انما اسس لاستملاك الاراضي ، واستعمار الايطاليين لها ، ولاقراض الاهالي بالربا الفاحش ، ولاحتكار التجارة في طرابلس ، ولاخذ امتيازات لاستثمار

المناجم وانشاء المرافىء وما اشبه ذلك ، ثم اظهار القلاقل والاختلافات بين الحكومة المحلية والقنصلية الايطالية التي يعظمها الخيال الايطالي بالطبع حتى تصل الى الاستانة وروما فتكون منها « مسائل » يختلقون منها الوسائل للخطة التي وضعوها لانفسهم »(١٣) ٠

وكان والي طرابلس الغرب في حين تاسيس بنك دى روما رجب باشا فقاوم هذا المشروع بكل قوة لديه طالبا من مؤسسيه ان يحصلوا على ارادة سلطانية بتاسيسه اولا ، وفي الوقت نفسه كان يكتب الى الاستانة الى رجب باشا بان لايتشدد كثيرا حتى لايكون سببا في احداث هذا البنك ٠ ولكن ايطاليا لم ترض بالخضوع لهذا القانون واوعزت الاستانة الى رجب باشا بان لا يتشدد كثيرا حتى يكون سببا في احداث « مشكلات سياسية » ٠ ولما يئس ذلك الرجل العثماني الحكيم من معاونة الاستانة له واهتمامها بأمر هذه الولاية توصل الى وسائل حكيمة لمقاومة النتائج بعد عجزه عن مقاومة المقدمات ، فصار يتمسك بنصوص القانون ما امكنه ذلك خاصة من مسائل بيع الاراضي والعقارات ويعمل على عرقلة الحيل والدسائس التي تعمل لاجل نقل ملكيتها من عثماني الى ايطالي ٠

فكان كلما اراد احد ان يبيع قطعة ارض ، او عقار ، واشتم رجب باشا منها رائحة الايطاليين دعا صاحبها وبين له الاضرار العظمى التي تلحق وطنه من بيعها الى ايطالي ، فاذا لم يقنع البائع بعدم البيع بحث له عن عثماني يشتريها منه او جار يضطر البائع الى تفضيله بحكم الشفعة وان لم يجد يوعز للمجلس البلدي بان يشتريها ولو كانت قيمتها مرتفعة ٠ واذا فشل في كل هذه المساعي كان يأمر دائرة التسجيلات بان تنفذ احكام القانون بعدم تسجيل تلك الارض او العقار باسم البنك لان البنك شخص معنوي ، والبيع والشراء يشترط فيهما الايجاب والقبول ٠ « كل ذلك كان يفعله المرحوم رجب باشا لئلا يتمكن « بنك دى روما » او احد من الايطاليين من شراء الاراضي العثمانية واستعمارها »(١٤) ٠ وكانت تلك الاجراءات القانونية التي وقف بها والي طرابلس في وجه بنك دى روما خير وسيلة لعرقلة مساعيه على الرغم من الشكاوى والتهديدات المختلفة الاساليب التي كان القنصل الايطالي وحكومته يجيئان بها في كل يوم ٠

وعندما اعلن الدستور العثماني وتم تعيين حقي بك انذاك « حقي باشا فيما بعد » سفيرا للدولة العثمانية في روما علم « بنك دى روما » والحكومة الايطالية ان السكوت على الوسائل التي نفذها رجب باشا

ربما عادت مؤيدة قانونيا في العهد الدستوري وفي ذلك قضاء على الآمال الايطالية فاكثر الايطاليون من الشكوى واتخذوا حقي بك نصيرا وآلة لهم . فقد كتب حقي بك من روما الى الباب العالي موضحا ان ايطاليا تبذل جهدها لمساعدة الحكومه العثمانيه خصوصا بعد الدستور « ومن الواجب على الباب العالي ان يتسامح مع « بنك دى روما » تثبيتا لاواصر المودة بين الدولتين واحكاما لمعاني الحب والصداقة ، فاثر هذا القول من سفير الدولة في حكومته المركزية ، واوعز الباب العالي الى الحكومة المحلية في طرابلس الغرب بان تقبل فراغ (تسجيل) الاراضي باسم المدير العام لبنك دى روما »(١٥) .

و كانت الصحافة المحلية في طرابلس وفي مقدمتها « تعميم حرية » «التركية» و «الترقي» و «ابو قشة» و «المرصاد» العربية تبين للحكومة والرأي العام المقاصد الايطالية واعمال واغراض بنك دى روما وتصرخ بأعلى صوتها تنبه اولياء الامور الى المصائب المنتظرة التي سيكون البنك المذكور مصدرها وسببها فلم تجد هذه الجرائد الصادقة اذنا صاغية من الحكومة ورجالها ، ولكنها اثرت في الرأي العام وصححت اعتقاده بشأن البنك فصار يعتقد انه مرفق سياسي بعد ان كان يحسبه تجاريا بحتا(١٦) .

وعندما شعر مؤسسو البنك ان معاملاته ستتقلص بسبب الحملات الصحفية قام بتأسيس مطبعة وصحيفتين ايطاليتين في طرابلس اولهما جريدة « ايكو دى تريبولى » والثانية « استطلا » واصبح لدى البنك صحيفتان تدافعان عن مصالحه ، وتنشران في اذهان الناس انه بنك تجاري ولا دخل له بالسياسة .

وتواصل المنار مقالتها عن الاطماع الايطالية والتدخل الايطالي في شؤون طرابلس بل وتعرض لنا التدخل الامريكي ايضا فتقول :

« وفي ولاية حسن باشا قدم طرابلس رجل من اهالي الارجنتين في جنوب امريكا اسمه المستر « كوزمان » فاصدر جريدة سماها « بروجريسو » وصار يطعن منها على الحكومة الايطالية ويبين مقاصدها في طرابلس الغرب ويفضح نية بنك دى روما السيئة وظل على ذلك عدة اشهر ارتفعت فيها شكوى البنك منه الى عنان السماء ولكن لم يكن للحكومة العثمانية وجه لسماع تلك الشكوى . واتفق انه جاء الى طرابلس ايضا مصور امريكي من اهل الولايات المتحدة وبينما كان يصور « جامع احمد باشا » مر من امامه صبي صغير حال بينه وبين الجامع ففضب المصور الامريكي وضرب الطفل . ولما تدخل البوليس

حصل بينه وبين المصور سوء تفاهم فتطاول الاميركي على البوليس وضربه فقبض عليه البوليس باسم القانون واخذه الى قسم البوليس للتحقيق ، ومن الغريب ان قنصل امريكا عد هذه الحادثة اهانة للامريكي (!) وطلب من حسن باشا ترضيته فاجابه حسن باشا اليها وطرد البوليس من خدمة الحكومة بمراسم علنية وبحضور كثير من الاجانب .

فلما علم قنصل ايطاليا بطرد البوليس من خدمة الحكومة بصورة غير قانونية عاد فطلب نفي محرر جريدة « البروجرسو » بصورة غير قانونية ايضا استنادا على العمل السابق من الوالي في مسألة الاميركي والبوليس ، اما حسن باشا فقد اجاب قنصل ايطاليا ايضا الى طلبه ونفى المستر كوزمان بصورة استبدادية استاء لها جميع العثمانيين من اهل طرابلس وضحك منها الكثيرون من الاجانب ، وهي حادثة مؤسفة في الحقيقة لحدوثها في زمن ادارة دستورية »(١٧) .

كانت حادثة اخراج الصحفي الارجنتيني فوزا كبيرا للسياسة الايطالية في طرابلس عقدت لها الصحف الايطالية فصول الابتهاج والسرور ، وامتلأ بها قنصل ايطاليا غرورا وزهوا وخيلاء . فاصدر امرا الى الصحف والمطبعة الايطالية التي في طرابلس بان لا تلاحظ بعد الان قانون المطبوعات العثماني ، وما عليها الا ان تراعي القانون الايطالي فقط معلنا بذلك انه فتح لحكومته فتحا جديدا في طرابلس . ولم يحرك الوالي حسن باشا ساكنا(١٨) .

في خلال هذه الفترة كان « بنك دي روما » قد قدم الى المحاكم في طرابلس قضايا على بعض اشخاص فرفضت المحاكم قبول هذه القضايا لان البنك لم تتوفر في تاسيسه الشروط القانونية ، وكان (حقي بك) السفير العثماني في ايطاليا قد جيء به الى الاستانة صدرا اعظم فصار (حقي باشا) فانتهز مدير بنك دي روما « الكفالير برششاني » هذه الفرصة ، وذهب الى الاستانة شاكيا لحقي باشا ما يلاقيه البنك من مشاكسات المحاكم الطرابلسية فاصدر حقي باشا امرا الى نظارتي العدلية والخارجية بوجوب قبول القضايا من بنك دي روما في المحاكم العثمانية في طرابلس ولا حاجة للحصول على ارادة سلطانية بشأنه . ومنذ ذلك الحين اخذت المحاكم تنظر في قضايا البنك مجبورة غير مختارة(١٩) .

وفي عهد ولاية حسن باشا زارت طرابلس لجنة فرنسية مؤلفة من اربعة خبراء للبحث عن مناجم الفوسفات ، وكانت تحمل معها اذنا من

نظارة الداخلية العثمانية بالسماح لها بالبحث وبوجوب المحافظة على اعضائها بحراستهم اثناء بحثهم · فلم يهضم « بنك دى روما » والايطاليون عامة هذا الامر فقامت الصحف الايطالية بالاحتجاج على حكومتها موضحة ان ذلك تفريط في المصالح الايطالية وان مجيء لجنة فرنسية الى طرابلس يمس شرف ايطاليا صاحبة السيادة على هذه الولاية وان في ذلك معاداة واضحة لايطاليا(٢٠) ·

ثم جاءت في نفس الفترة لجنة امريكية الى بنغازي للبحث والتفتيش عن الاثار فقامت قيامة الصحف الايطالية ايضا واصرت على مطالبة حكومتها بمنع هذه الاعتداءات ! واعلان سيادة ايطاليا على طرابلس (!) واجبار الحكومة العثمانية على اخراج اللجنتين المذكورتين ، وكانت الصحف المحلية تدافع عن حقوق العثمانيين وبان الحكومة العثمانية حرة في منح الامتيازات لمن تريد فزادت هذه الكتابات في استياء الايطاليين وصارت صحفهم(٢١) تهدد حكومتنا بالاستيلاء على طرابلس الغرب وبارسال اساطيلها اليها واحتلالها · فصارت حضرة الكاتبة الافرنسية الفاضلة (مدام كى دافلليين) عقيلة الطبيب الصحي في طرابلس تفند مزاعم الصحف الايطالية وتصرخ بعجز ايطاليا عن احتلال طرابلس ولاسيما في الدور الدستوري ، فهاج الايطاليون وهاجموا قنصليتهم مطالبين حكومة ايطاليا بعزل زوج مدام كى دافلليين واخراجها من البلد · وتعرض لها بعضهم بالاذى في الشارع · اما هي فلم تكن تقابلهم الا بالحزم والعزم ضاحكة من افعالهم وارائهم السخيفة ومن الاسف انه لما احتج سفير ايطاليا على هذه السيدة الفاضلة لدى الباب العالي وعده الباب العالي بان يستبدل بزوجها طبيبا غيره عند اول فرصة »(٢٢) ·

صارت السفارة الايطالية في الاستانة تتدخل في كل ما يختص بطرابلس مما اتاح للقنصلية فرصة للتدخل وتنفيذ ما تريده محليا دون الرجوع للوالي · بل ان السفير الايطالي طلب من الباب العالي عزل الوالي ابراهيم باشا لانه يعرقل المصالح الايطالية · وبينما كان حقي باشا الصدر الاعظم وخليل بك ناظر الداخلية يريدان تنفيذ اشارة السفير الايطالي تسرب الخبر للصحف العثمانية التي احتجت على الباب العالي وانذرته خطر مثل هذا العمل واوضحت ان ذلك عمل استبدادي والقانون الاساسي لا يجيز عزلا بدون محاكمة ، فاحتار الباب العالي بين هياج الرأي العام وغضب السفير الايطالي فعمل على ارضاء ايطاليا بالاذن للايطاليين بالبحث عن المعادن في ولاية طرابلس

فارسلوا لجنة كان معظمها من اركان حرب وكبار الجيش الايطالي حيث طافت بجميع انحاء الولاية حتى فزان في الجنوب . اما موضوع عزل الوالي فقد تم بعد ثلاثة اشهر اي بعد ان هدأت عاصفة الصحافة حيث ورد الامر من الباب العالي بعزل ابراهيم باشا بلا سبب ولا محاكمة ففهم الشعب ان السفارة الايطالية هي التي عزلته ولم يرسل والٍ بعده اذ بقي احمد بسيم وكيلا على الولاية الى ان وصل الاسطول الايطالي بعد ذلك باسبوعين الى مياه طرابلس الغرب »(٢٣) .

لم تكتف مجلة المنار بتحليل الاوضاع في ليبيا « طرابلس الغرب » قبيل الغزو الايطالي وكشف ما تقوم به ايطاليا وسفارتها في الاستانة وقنصليتها في طرابلس بل اوضحت ضعف الوزارة العثمانية في العهد الدستوري . ففي « باب الاخبار التاريخية والآراء » في الجزء العاشر المجلد ١٤ كتبت تحت عنوان « محاربة ايطاليا لطرابلس الغرب » تقول(٢٤) :

« نعني بطرابلس الغرب الاقليم الواقع بين القطر المصري والقطر التونسي ومنه برقة المعبر عنها في عرف الدولة بمتصرفية بنغازي وهي مملكة كبيرة مساحتها ٤٠٠ الف ميل او تزيد ، ولكنها لسوء الادارة والظلم والفوضى قد غلب عليها الخراب وقل فيها السكان ، فاهلها يقدرون بمليون ونصف ..... وموقع هذه المملكة البحري والتجاري عظيم وهي قابلة للعمران والترقي وقد كنا نسمع منذ وعينا ان دولة ايطاليا طامعة فيها وكانت الحكومة الحميدية على سيئاتها قد عنيت بتعليم اهل طرابلس النظام العسكري فانشأت فيها فرقا من الفرسان « الالايات الحميدية » كما فعلت في بلاد الاكراد ، قلنا يومئذ ان لسلطان عبدالحميد في هذه الدولة حسنتين : سكة الحديد الحجازية « والالاليات الحميدية » . وقد اقترحنا على الدولة العليّة منذ اكثر من عشر سنين ان تعمم التعليم العسكري في طرابلس الغرب وفي سائر البلاد العثمانية وتجعل فيها مستودعات للسلاح ليكون الاهالي مستعدون للدفاع عن انفسهم اذا فاجأهم الطامعون وتعذر على الدولة ان تمدهم بالجند الكافي ، بل قلنا ان الطامعين اذا علموا ان اهل البلاد مستعدون للحرب والكفاح يحجمون عن مهاجمة البلاد لان اوربا ـ ولا خوف الا منها ـ تؤثر الفتح السلمي الذي لا تخسر منه كثيرا من ابنائها واموالها على الفتح الحربي .

كانت نصائحنا كنصائح غيرنا تحمل على معاداة السلطان ولايترتب عليها الا ايذاء الناصح في نفسه او اهله وماله ، ثم زالت

الحكومة الحميدية وحلت محلها الحكومة الجديدة ، التي سيطرت عليها جمعية الاتحاد والترقي بقوة الجيش وديوان الحرب العرفي فكان حظ طرابلس الغرب في عهد هذه الحكومة شرا من حظها في زمن عبدالحميد ، فقد اضعفت وزارة حقي باشا حاميتها ومهدت السبيل لتعجيل ايطاليا باحتلالها ، كما يعلم من التقرير الرسمي الذي قدمه بعض المبعوثين الى المجلس في طلب محاكمة حقي باشا .

ان ايطاليا تستعد منذ سنين كثيرة لامتلاك طرابلس الغرب وكان هذا الاستعداد على اشده بعد الدستور اذ كان حقي باشا سفيرا للدولة في رومية عاصمة ايطاليا فصدرا اعظم للدولة يسهر اكثر لياليه في سفارة ايطاليا ..... وكان يشهد دائما لايطاليا بحسن النية وصداقة الدولة العليّة ، حتى ان سفير فرنسا حذره منها وانذره سوء عاقبة مقاصدها ، فَمَاراه بالنذر حتى وصل الخطر ووقع البلاء المنتظر»(٥٢) .

لقد اوضحت مجلة المنار ان الحكم الحميدي مع سوئه واستبداده كان مهتما بشؤون الدولة وولاياتها ولم يفرط في جزء منها لأن الدولة كانت عثمانية او اسلامية اما عند مجيء جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار الدولة التركية العلمانية العنصرية التي جاءت للسلطة عن طريق انقلاب عسكري « بقوة الجيش وديوان الحرب العرفي » وهو اول انقلاب عسكري في منطقة الشرق الاوسط في القرن العشرين فقد كانت وزارة غربية الاتجاه اهتمت بتركيا اكثر من اهتمامها بالولايات الاخرى وخاصة الولايات العربية فقد ركزت معظم قواتها على القطاع الاوربي من الدولة وهو اصغر قطاع فقد وضعت فيه اربعة فيالق بينما ثلاثة فيالق في بقية الولايات ، واحد في سوريا وهو الفيلق الخامس ، والفيلق السادس في بغداد ، والسابع في اليمن(٢٦) .

ومنذ مجيء هذه الطبقة ـ العسكرية العنصرية الغربية الفكر والمنحى والسلوك والعلاقات « اذ كان حقي باشا سفيرا للدولة في رومية عاصمة ايطاليا فصدرا اعظم للدولة يسهر لياليه في سفارة ايطاليا يقامر مع النساء والرجال »(٢٧) ـ للسلطة كانت تهتم بعلاقاتها الاوربية وكان لجماعة الاتحاد والترقي علاقات قوية ببعض الزعامات الاوربية ، فهل ربط بينهم الفكر الماسوني (!؟) .

تقرير مبعوثا طرابلس الغرب :(٢٨)

قدم مبعوثا طرابلس الغرب محمود ناجي وصادق تقريرا بالتركية

لمجلس المبعوثان طالبا فيه محاكمة حقي باشا لأنه من وجهة نظرهم هو الذي باع ليبيا لايطاليا وأوضحا فيه حالة الولاية منذ مجيء « عسكرتارية » الاتحاد والترقي للسلطة والتقرير يصف في بدايته احوال الولاية والاهمال الذي حدث فيها لكن ما يهمنا فيه مطالبتهما بمحاكمة حقي باشا الصدر الاعظم والتهم الموجهة له حيث يقول التقرير كما جاء في مجلة البلاغ :(٢٩)

« لندع الآن كل هذا جانبا ونحاسب وزارة حقي باشا على تغاضيها غفلة وتعطيل واهمال لم نشهد لها مثيلا حتى في عهد الادارة السابقة ، ومن نكد الطالع انها وجدت في هذه الوزارة ، ومن جملة ما يذكر عن اهمالها وتخاذلها انه بينما كان اعداؤنا يطمحون بانظارهم الى الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب وبنغازي لم تفكر هذه الوزارة في القاء الخوف فيهم وارجاعهم عن اطماعهم بتوفير الارزاق والمهمات والجنود في طرابلس توفيرا كافيا .

نحن مبعوثي طرابلس نبكي دما لاضطرارنا الى عد سيئات حقي باشا السياسية والادارية التي ارتكبتها في طرابلس الغرب فقطوعرضها على اولى الحل والعقد ونحصر كلامنا في ما يلي :ـ

١) كان عدد الجيش المرابط بين ١٥ و ٢٠ الف بخلاف فرق الاهالي « قول او غلى » التي يتراوح عددها بين ٤٠ و ٥٠ الفا الذين تدربوا على استعمال السلاح . ففي عهد وزارة حقي باشا اهملت هذه القوة الشعبية كما نقل عدد من الجيش النظامي الى اليمن ومن ثم هبط عدد جنود طرابلس الى اقل من خمسة آلاف .

٢) طالب الاهالي بالانتظام في الجندية لدفع العدوان عن الوطن وقد خاطب المبعوثان شفاهة وتحريرا في هذا الموضوع وقبل مجلس المبعوثان فتح ميزانية لعام ١٣٢٦ هـ لمعسكر طرابلس وبنغازي لقائمقام وكانت الاى واحد واربعة يوزباشية و ١٣ ملازم اول و ٢١ جاويش ولم يبدأ اجراء ذلك الا منذ اربعة اشهر في هذا العام١٣٢٩هـ وفي طرابلس فقط كما انه اختار٣٤٠٠ شخص فقط بينما كان المتقدمون ١٦ الف يريدون اداء الخدمة العسكرية بشوق عظيم للدفاع عن وطنهم .

٣) حفظت حكومة العهد السابق احتياطا للطوارىء ٤٠ الف بندقية لتسليح الفرق المؤلفة من الاهالي عند الحاجة الى معونتها ولكن في عهد وزارة حقي باشا نقلت الى الاستانة بحجة تغييرها بسلاح

جديد ولم ترسل اسلحة بدلا عنها ·

٤) ان الضباط الاتراك الذين نقلوا حديثا الى طرابلس غير ملمين باللسان المحلي كما انهم لا يعرفون طبيعة البلاد التي سيحاربون فيها ولا يستطيعون فهم وقيادة جيوشهم اذا جاءت الحرب ·

٥) ان اهل طرابلس الغرب الذين قاموا في وجه العدو مدافعين عن ولايتهم التي فقدت اسباب الدفاع منذ اربعة اعوام تقريبا قد ابتلوا بغلاء وجدب وقد اوضحنا كل ذلك منذ سنتين شفاهة وبالتقارير ، وقد علمت وزارة حقي باشا بكل هذا ولكنها لم تحرك ساكنا مما جعل اهلها يهاجرون الى تونس والبلاد الاخرى من شدة الفاقة بل ان ال ٦٠٠ الف كيلة شعير التي قررت الحكومة توزيعها على الاهالي لم ترسلها الحكومة حتى اعلان الحرب · وهكذا جردت الولاية من القوة النظامية وترك اهلها مهملين فباتوا في حال لا تمكنهم من المدافعة بل تركوا عرضة للجوع ولايطاليا ليفتكا بهم ·

٦) عينت وزارة حقي باشا في الوظائف بعض المقربين في طرابلس بدلا من ان تعين ذوى القدرة والكفاءة من الذين يعرفون لهجة اهل الولاية ليستطيعوا تولي المهام وادارة الشؤون كما كان اولى بها ان تعين اشراف اهل الولاية من ذوى النفوذ المحلي في بعض الوظائف بشكل استثنائي ·

٧) ان اهمية الولاية لا تحتاج الى تعريف فكان من الواجب أن لا تترك بدون وال او قومندان وقد عزلت وزارة حقي باشا ابراهيم باشا بناء على طلب ايطاليا لانه وقف في طريق اطماعها واستدعى الى الاستانة مما جعل الاهالي يظنون ان الحكومة كفت يدها عن ادارة الولاية وان الدولة تريد بيعها لايطاليا · هذا وقبيل مجيء قوات الغزو الايطالي استدعت الحكومة الى الاستانة البكباش وحيد بك الذي كان يعول عليه في الدفاع عند هجوم الاسطول الايطالي ولم ترسل بدلا منه ففقدت المدينة اسباب الدفاع تماما ·

٨) معروف لدينا ولدى الحكومة منذ سنين كثيرة ان ايطاليا لم تخف ما تضمره وهو الاستيلاء على طرابلس الغرب وبنغازي (ليبيا) وكانت ايطاليا تجاهر بذلك لكل الشعوب بما في ذلك الشعب العثماني فكان من الواجب على حقي باشا قبل اي شخص آخر ان يعرف حقيقة الامر وهو في السفارة العثمانية بروما وان يعرف

اهمية هذه المسألة اكثر مما يعرفها غيره . وكذلك لم يهتم الى انذارات مجلس النواب ولا الى ما شهده واطلع عليه ولا الى بلاغات خلفه في السفارة في روما ولا لكتابات قائمقام الولاية العديدة .

) طلت الوزارة حتى اعلان الحرب من ايطاليا على ليبيا لا تحرك ساكنا ولا تصدر اوامر بل ان المال الكافي الذي يتوقف عليه الدفاع لم يكن قد وصل فجعل ذلك الدفاع مستحيلا مع انه كان ممكنا ، فهذا كله سهل لايطاليا الاستيلاء على الولاية(٣٠) .

واختتم التقرير بهذا القول : ـ

« فيتبين مما تقدم ان الحكومة تركت طرابلس الغرب وبنغازي ميراث أجدادنا العثمانيين عاجزتين عن الدفاع من كل وجه . تركتهما بلا عسكر ولا سلاح ولا ذخيرة ولا ضباط ولا وال ولا قومندان ولا مؤن ولا نقود تركتهما جائعتين فقيرتين .

أشهد تاريخ الامم عمى الى هذا الحد ؟ أرأى اهمالا كهذا الاهمال ؟ أوجد ضعف محبة للوطن كهذا الضعف ؟ فنحن مبعوثي طرابلس الغرب نمثل ضمائر موكلينا وأبناء الامة كافة بهذه النكبة التي جرتها علينا وزارة حقي باشا وزملائه .

ان وزارة حقي باشا خالفت اول مادة وآخر مادة من القانون الاساسي في الامور الخارجية والداخلية والمالية والحربية ، ذلك القانون المعظم الذي هو أس الدولة الدستورية ، فلهذا نطلب من « مجلس المبعوثان » ان يقوم بوظيفته في الشأن .

هذا ومبعوثو طرابلس الغرب يطلبون عملا بالمادة الحادية والثلاثين من القانون الاساسي محاكمة وزارة حقي باشا تخليصا للوطن في المستقبل من تهلكة يقع فيها . حتى اذا وفقنا الى تحديد المسؤولية ووجوب انزال العقاب علمنا اننا خدمنا الوطن »(٣١) .

مبعوثا طرابلس

محمود ناجي وصادق(٣٢)

المسالة الشرقية واعتداء ايطاليا على طرابلس : ـ

في باب المقالات وتحت هذا العنوان نشرت المنار عشر مقالات كان اولها في الجزء العاشر المجلد الرابع عشر في ٢٢ اكتوبر ١٩١١م وكانت

قد نشرت هذه المقالات قبل ذلك في جريدة المؤيد في اول اكتوبر ·

ففي المقال الاول تناولت الحقوق الدولية والمعاهدات وكيف اقدمت ايطاليا على مفاجأة الدوله العثمانية بالعدوان واغتصاب ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي · وتحدثت عن دور اوربا وراء هذا العدوان وهل هو ، مقدمة لاسقاط هذه الدولة الاسلاميةواقتسام بلادها بعد أن اسقطت دولة المغرب الاقصى واتفق على اقتسام دولة ايران وسمحت لروسيا بانشاب براثنها في القسم الشمالي منها وترك القسم الجنوبي لدولة انجلترا ؟ اتريد هذه الدول الاوربية المسيحيه العادلة ؟ الرحيمه ؟ البريئه من الظلم والتعصب ـ هدم الدول الاسلامية الثلاث في سنة واحدة ؟ هذا ما يتساءل به الناس(٢٣) ·

وحلل الكاتب ما وراء مقاصد اوربا من غزو الشرق الاسلامي وكيف انها حرب صليبية وان اوربا كانت تبحث عن الاسباب وتنتحلها وتتصنعها في بعض الاحيان لتتدخل في شؤون الشعوب الاسلامية التي ابتليت بملوك وامراء واعوان لهم من العلماء والزعماء حالوا بينهم وبين كل علم وعمل تعتز به امتهم وتقوى به دولتهم فمكنوا بذلك اوربا من مقاتليهم وفتحوا لها الثغور لاحتلال بلادهم وازالة استقلالهم ، فزال اكثرها وبقى اقلها مستقلا في الظاهر ، ولكنه تحت نفوذ اوربا في الواقع(٢٤) · ثم تناول بالحديث المسالة الشرقية واوضاع اليونان ، والبلغار ، والجبل الاسود ، وموقف الدول الاوربية من التنازع بين روسيا وبريطانيا ثم ظهور المانيا ومَيل السلطان عبدالحميد اليها مما ادى الى غضب انجلترا وحنقها عليه · ثم اوضح كيف ان روسيا هي السابقة الى السعي لازالة دولة العثمانيين ومحو اسمها من لوح الوجود، وارث موقعها البحري الذي لا نظير له في الارض ، لتجمع بين القوتين البرية والبحرية وتكون لها السيادة العليا ، وكانت قاعدة السياسة الانجليزية انه يجب ان تبقى الدولة العثمانية سداً في وجه روسيا وحائلا بينها وبين البحر المتوسط الذي هو قلب البحار وسيدها ، بشرط ان لا تقوى ، ولا تكون دولة بحرية تخشى ، وان شئت قلت (بشرط ان لا تموت ولا تحيا) ····(٣٥) ·

وتناول العلاقات الالمانية العثمانية منتقدا لها موضحا ان اليهود الصهاينة الالمان وراء اسقاط وزارة كامل باشا القومية وكيف اتفقت السياسة الالمانية مع الروسية على « بلاد ايران شقيقة دولتنا وجارتها »(٣٦) موضحا ان جماعة الاتحاد والترقي في غرورهم كانوا يرون في « فرنسا وروسيا وايطاليا تابعات لها في السياسة ··· ولم يفيقوا من غرورهم

حتى سمعوا صيحة ايطاليا في يوم انعقاد مؤتمر جمعيتهم السنوي تقول قد آذنتكم بالحرب ، وأخذت منكم طرابلس الغرب بالقوة والقهر ، ورأوا الدولة العلية تراجع الدول العظمى وتذكرهن بالحقوق الدولية ، والمعاهدات الانسانية فيتعامين عن ندائها ويدعن ايطاليا تغتصب هذه المملكة الإسلامية ....(٢٧) .

وتواصل المنار حديثها عن اتفاق اوربا وسكوتها على الغزو الايطالي على ليبيا موضحة ان هذا الغزو لن يقف على طرابلس فقط بل ان طرابلس هي التجربة الاولى التي نجحت واوضحت عجز الدولة العثمانية عن كل عمل وعدم تاييد الامة العثمانية بجميع شعوبها لها وعدم تهييج شعور العالم الاسلامي كله لاجلها . واوضح ان الدول الاستعمارية الاوربية اعتقدت ان العالم الاسلامي « قد مات شعوره وانقطعت روابطه بما نفثت فيه اوربا من سموم الجنسية الوطنية واللغوية والقومية .. ومن التعليم الفاسد .... وقوى اعتقادها هذا عدم ظهور الغيرة والحمية الاسلامية عند العبث باستقلال دول المغرب الاقصى ودولة ايران ، فتجرأت على العبث باستقلال الدولة العثمانية ، ولم يحفلن باعتقاد المسلمين انها دولة الخلافة ..... الا فليعلم المسلمون في جميع اقطار الارض والعثمانيون اينما كانوا وحيثما وجدوا ان ذهاب طرابلس الغرب غنيمة باردة يتبعه اغتصاب النمسا لسلانيك وما جاورها ، فاقتسام بقية ولايات الدولة(٢٨) .

لقد اوضح المقال كيف وقفت الدول الاوربية وراء تجزئة وتفتيت الدولة العثمانية وكيف كانت هي السبب وراء الخلاف بين الاستانة وشعوب الولايات العربية بما زرعته اوربا من سموم وما خلفته من ترسبات . كما قرأت صفحة المستقبل للاطماع الاوربية في المنطقة وهو ما حدث قبيل وبعد الحرب العالمية الاولى .

ومواصلة في مقالات المسالة الشرقية تطرح المنار نتاج الثقافة الاوربية الاستعمارية على شعوب الدولة العثمانية وكيف ان هذه الثقافة هي السبب في سوء العلاقة بين الدولة وشعوبها . فقد اوضح ذلك حينما كتب « ان المتعلمين قد افسدت التعاليم الاوربية نفوس الكثيرين منهم وحلت الرابطة الاسلامية التي تربط كل قطر من بلادهم منهم بالآخر وهم لا يشعرون ، واحدثت لهم روابط اخرى بدلا منها تسمى في مصر بالوطنية المصرية ، وفي الاستانة الحاكمية التركية ، وفي طهران الجنسية الفارسية ، وان من المصريين من صار يفاخر بفرعون ويعد المسلم السوري والحجازي دخيلا في امته ، وان جميع الطبقات تاثرت بهذا ،

وانه وجد في الاستانة اناس يقولون ، ان اسباب ضعفنا وتأخرنا جاءتنا من الاسلام .... وفي طهران من ينشر تاريخ المجوس وعظمة ملوكهم وينفر من الاسلام الذي دفع العرب الى سلب ذلك الملك منهم ... كل هذا اعرفه كما يعرفه الاوربيون الذين زرعوا بذوره وتعهدوا غرسه بالسقي حتى بدأت لهم ثمراته دانية القطوف »(٣٩) .

ولعل هذا التحليل من اجمل ما كتب في ذلك الوقت موضحا ما فعلته وتفعله اوربا لفصم عرى الاخوة والروابط بين الاتراك والعرب وهو ما نما وترعرع حتى ظهر اثناء الحرب العالميه الاولى حينما اوعزت انجلترا لبعض العناصر في الجزيرة العربية للوقوف ضد الدولة العثمانية وللثورة عليها وهو ما يسمى عند بعض المؤرخين بالثورة العربية الكبرى .

ولم يترم الكاتب اللوم على اوربا فقط بل في رايه ، وانني اجاريه في الرأي ، ان جماعة الاتحاد والترقي هي التي شاركت اوربا في سقي بذور الشقاق بين الاتراك والعرب . فهل كانت هذه الجماعة دسيسه اوربية ؟ ام جزء من الحلقة الماسونية العالمية ؟ ام اخذوا الثقافة الاوربية بكل ما فيها وساروا بها وعليها ؟ وفي هذا يرى الكاتب « العثمانيون مؤلفون من عناصر وملل شتى وقد رضيت دولتهم التركية العنصر الاسلامية الدين ، بان يكونوا كلهم شركاء لعنصرها فيها ، وما قام يحاوله اولئك الاحداث الاغرار من هضم حقوق عناصرهم(٤٠) واضطهاد لغاتهم ، عرض يزول بزوالهم ، او بزوال سلطتهم المؤقتة ، فلا ينبغي ان نؤاخذ الدولة بذنب تلك الزعنفة التي قذفتنا بها سلانيك وازمير وادرنة »(٤١) .

وفي نفس المقال دعي المسلمون الى اظهار شعورهم وآلامهم من اعتداء أوربا وبغيها على دولهم الثلاث (ايران ، المغرب وليبيا) والدوله العثمانية ومساعدتهم للدولة العلية بكل ما يمكن فيه المساعدة من المال والحال . فالمسلمون اولى باظهار هذه العاطفة في كل قطر من الاقطار سواء احتاجت اليهم الدولة ام لا ، فادعو المسلمين الى التطوع ثم ادعوهم الى اظهار شعورهم بالقول والكتابة والمظاهر والاحتجاج(٤٢) . وكانت هذه دعوة جريئة صريحة مع مقارنتها بما كتبته الصحف الاوربية الصادرة في مصر وبلاد الشام والتي اظهرت التحيز الى ايطاليا بمدح غزوها واظهار العداوة والبغضاء للدولة العثمانية وكذلك بعض الصحف المسيحية العربية المتعصبة للدين المسيحي .

ثم دعى الى مقاطعة التجارة الايطالية وترك معاملة الايطاليين بكل

نوع من انواع المعاملة سواء أكانت معاملة في شؤون التجارة أم المال ام في الشؤون الزراعية . كما طلب من رعايا الدولة العثمانية في كافة ولاياتها المسلمة خاصة الاسراع الى مساعدة الدولة بجمع المال والاكتتاب المنظم وذلك في حالة العجز عن الجهاد بالنفس . وفي هذا الموضوع ركز على المصريين ليكونوا هم السّباقين الى كل انواع المساعدات الممكنة لان عليهم حق الاخوة الاسلامية وحق السيادة العثمانية وحق الجوار لطرابلس . ويليهم في ذلك مسلمو تونس(٤٣) .

وفي نفس المقال اوضح كيف افسدت اوربا الشباب المسلم الذي اخذ العلم منها وتشبه بها وكيف ان اوربا جعلتهم عونا لها على ازالة استقلالهم .من حيث لا يشعر بذلك اكثرهم وجندتهم لخدمة اغراضها وليحاربوا الدولة العثمانية التي في فهمهم ما هي الا دولة استعمارية ومن ثم تكون بلادهم مستقلة بمساعدة اوربا خاصة اذا تركوا جنسياتهم ومقوماتها ومشخصاتها الاولى واستبدلوا بها ما ياخذونه عن اوربا من الجنسية الوطنية واللغوية(٤٤) .

ثم تطرح المنار في مقالاتها فكرة الجامعة الاسلامية في قولها « قال حكيمنا (الناس' من خوف الذل في ذُلِ) وقد ذللنا حتى انه يساء الينا ونؤمر بالشكر . فالى متى يقذفون في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ التعصب الذي نجد معناه عندهم ولا نجده عندنا ، وانما يخافون ان نستفيد منه الاتحاد والتكافل كما استفادوا ؟ الى متى يقذف في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ (الجامعة الاسلامية) التي نرى مثلها عندهم مُشاهدا مَحسوسا بالاتفاق على حل المسالة الشرقية ولا نرى لذلك المعنى اثرا في شعب من شعوبنا ولا في قطر من اقطارنا . انخاف من سطوتهم ان تفتك بنا باكثر من البغى باغتصاب بلادنا عنوة واقتدارا ليضربوا علينا الذلة والمسكنة الى الابد .... انا لا ادعو بهذا الا الى شيء واحد وهو ان نعرف انفسنا ونعرف ما حولنا ، ويحيق بنا ، لنكون على بصيرة من امر هذا البلاء الذي انذرنا به بغى ايطالية علينا ، باتفاق اوربا واقرارها .... ونفهم سر تهديدنا بلفظ التعصب ولفظ الجامعة الاسلامية اللذين هما من الالفاظ المهملة التي لا معنى لها عندنا(٤٥) .

ثم يرى اهمية الجامعة الاسلامية في الحفاظ على العلاقة والرابطة القوية مع الدولة العثمانية وكيف ان اوربا استعملت المسلمين لضرب بعضهم ببعض ولضرب الدولة الاسلامية (العثمانية) بابنائها من المسلمين وذلك كله لتفتيت وحدتهم وليسهل عليها استعمارهم ومن ثم ففي رأيه ان الجامعة الاسلامية في تلك الظروف هي الملاذ الوحيد لايقاف

الزحف الاوربي وليكون ذلك تعصبا اسلامياً ضد الغزو والتسلط . فاوضح ان مسلمي المغرب كانوا عونا لفرنسا على استعمار الجزائر كما صارت قوة مسلمي الجزائر عونا لفرنسا لاحتلال المغرب ، وغزت فرنسا تونس واستولت عليها وهي محاطة بالمسلمين من كل جانب .

« واراد اسماعيل باشا ان يجعل بلاد مصر مملكة اوربية فاعتمد على اوربا وتدهور في الحفرة التي حفرتها له ، ولم يمنع ذلك خلفه من الثقة باوربا ودعوتها الى حفظ أريكته من ثائري رعيته ، فهل هذا من التعصب الاسلامي والعمل بالجامعة الاسلامية ؟

فصلت انجلترا مملكة السودان من اختها مملكة مصر ثم غزتها بجنود المصريين واموالهم وهم وادعون ساكنون ؟ ... ما هي القوة التي تمد فرنسا بها سلطتها في احشاء افريقيا وتحفظ بها ما تستولي عليه وتحفظ به تجارتها ؟ اليست من اهالي البلاد المسلمين وليس معهم الا عدد قليل من الضباط البيض ؟

ما هي قوة ايطالية المستولية بها على مُصَوَّع والتي تطمع بها ان تضم الى مستعمراتها الافريقية بلاد اليمن ؟ اليس معظمها من المسلمين يسوسهم ويسيرهم عدد قليل من الايطاليين ....(٤٦) .

ثم يتساءل بوضوح عن دور ملوك ورؤساء المسلمين في الماضي وهل اتحدوا على محاربة النصارى كما اتحد ملوك اوربا على المسلمين في الحروب الصليبية ؟ او كما اتحدت دولها الان في المسالة الشرقية ؟ ان امامنا خطرا كبيرا فيجب ان ندرك كنهه وان نبحث عن مستقبلنا مع الباغين المعتدين ، والا ضاع كل شيء وصرنا اذل البشر ، وصعب علينا ان نرتقي عن طبقة العبيد الاذلاء ، واول درس عملي يجب ان نقوم به هو بذل المال لمساعدة طرابلس الغرب على نكبتها وان نستفيد بذلك كيف يكون التكافل والتعاون بيننا (٤٧) .

ولعل خير تحليل لاحوال الشرق العربي في مقالات المسالة الشرقية والحرب الايطالية المقالة السادسة تحت عنوان « بعض ما يجب من العبرة في الحالة الحاضرة » . التي اوضحت فيها المجلة ما تقوم به اوربا من «دسائس وفتن بين العرب ودولتكم الدولة العثمانية او بينهم وبين الاتراك اذا جاز لي التعبير » . فقد اوضح كيف « فتنت اوربا ملوك وامراء العرب والمسلمين في المشرق بجميع فتن السياسة وزينت لهم تقليدها في زخرف مدنيتها ، واوهمتهم انها تهديهم الى سبيل الرشاد

ولم نقتصر في هذا فحسب بل فتنت الشعوب فهاجمتها بجنود من القسس والمعلمين والتجار والسماسرة والمرابين والبغايا (المومسات) والقوادين ، والقوادات ، واصحاب الملاهي والحانات ، فحاربتنا في عقائدنا الدينية وفي مقوماتنا ومشخصاتنا المليه وفي ادابنا وعاداتنا القومية ، وفي رزقنا وثروتنا العمومية .... وراجت في سوقنا كل هذه الفتن ، فحلت روابطنا واضعفت جامعتنا ، ومزقت نسيج وحدتنا ، ونحن نتوهم اننا نرقى بذلك انفسنا ، ويظن الذين تفرنجوا منا انهم صاروا ارقى من سائرنا عقولا واعلى ادابا واصلح اعمالا ... افيقوا ايها المساكين المخدوعين وانظروا الى ما تفعل اوربا بكم ، انها ما قطعتكم افلاذا لتمدن كل واحدة منكم على حدتها حبا في الانسانية ، وانما قطعتكم كما تقطع الحمل المشوي لتاكله لقمة بعد لقمة ...»(٤٨) .

ثم يتحدث عن رد فعل الدول والشعوب الاوربية اذا كان الغازي او المعتدى الدولة العثمانية على دول البلقان المسيحية او اذ قامت باخماد فتنة داخلية قامت بها اقلية مسيحية كالارمن ؟ هل ستسكت اوربا وتقف ساكنة وادعة مثلما فعلت عندما غزت ايطاليا واعتدت على ليبيا ؟ هل كانت ستنظر بعين الرضا والارتياح الى الاسطول العثماني وهو يمطر شعبا مسيحيا بالقذائف ؟ مع ان ايطاليا لم تدّع بانها جاءت الى ليبيا لانقاذ المسيحيين من تعصب المسلمين او منع الكوارث ، او تاييد عرش حكومة ؟(٤٩) .

ومن هنا توّجه المجلة حديثها الى الشعب المصري قائلة : ــ « ماذا عملنا ، جمعنا شيئا من الاعانة بمصر لانقاذ جيراننا واخواننا اهل طرابلس من براثن الموت مصابرة او صبرا ، ولكن لمّا يبلغ ما دفعه العشرات والمئات من امرائنا وسرواتنا ومثرينا نصف ما دفعه غني واحد من اغنيائنا الذين افسدهم التفرنج في هذه السنة وحدها لمقامري اوربا ومومساتها ؟(٥٠) .

وفي مجال الحديث عن ضرورة الوقوف مع الدولة العثمانية وموقف الصحف الاوربية التي تصدر محليا سواء في القاهرة او في غيرها من مدن الولايات العربية اوضح « ان الجرائد الاوربية التي تصدر عندنا تنفرنا من اعانة دولتنا والعطف عليها وتظهر انها قد استكبرت منا ما تصدينا له ، وهي انّما تسخر منا وتستصغر ما تظهره انها تستكبره وتعرف حقيقة ما تظهر انها تستنكره ، وترى كدولها اننا نعمل عمل الصغار ، فهي كدولها تعبث بنا كما يعبث الرجال بالاطفال »(٥١) .

ثم ظهر تكاتف اوربا مع ايطاليا في غزوها لليبيا وكيف ان انجلترا

تمنع مصر من ارسال المدد والذخيرة سواء منها او عن طريقها الى المجاهدين الليبيين وتمنعها كذلك من سوء معاملة الايطاليين . واما المانيا فانها تمنع الدولة العثمانية وشعوبها من مقاطعة واخراج الايطاليين من الولايات العربية ، كل ذلك اوضح ان ايطاليا ليست وحدها هي المحاربة وانما اوربا باسرها معها(٥٢) .

وفي المقالة السابعة والتي كانت تحت عنوان « اماني ايطاليا وظنونها في مسألة طرابلس الغرب » اوضح انه ليس في استطاعة ايطاليا ان تتجاوز سواحل ليبيا وتتوغل في دواخلها لاسباب منها شجاعة سكان ليبيا وتصديهم للحرب والجهاد من سن البلوغ الى سن الشيخوخة مع وفرة السلاح عندهم وتمرينهم على استعماله وبراعتهم فيه وكراهيتهم لسلطة الاجنبي المخالف لهم في الدين والجنس والعادات واللغة .

كما ان الجندي الاوربي اذا تجاوز الساحل دخل في صحراء رملية يفقد فيها الماء وليس هناك الا ابار قليلة لا يعرف مواقعها الا الوطنيون وقد يطمسون معالمها فلا يهتدي اليها غيرهم . كما انه لا توجد اسواق يأخذ منها الجندي الاوربي ما اعتاد التغذي به من الخبز والبطاطس والخضار واللحوم والخمر . واما العربي ابن البلد فهو يكتفي من الزاد في يومه بقطعة من الخبز او قبضة من الشعير او التمر ويحارب على ذلك طول العمر(٥٣) .

دور ايطاليا في خلق الترسبات الاستعمارية بين الليبيين والاتراك :

واوضحت المنار دور الحكومة الايطالية في خلق الترسبات الاستعمارية بين الليبيين والاتراك قبل غزوها لليبيا فقد كان في اعتقادها ان اهل ليبيا لن يحاربوها بل ان المواجهة ستكون من جانب القوات التركية فقط وكانت تبني اعتقادها هذا على عدة دعائم منها : ـ

اولا :

ما بذلته من المال والدسائس لاستمالة شيوخ العرب وزعمائهم اليها وتنفيرهم من الاتراك ، ولاستمالة الشيخ السنوسي واقناعه بان ايطاليا محبة له وللاسلام وللمسلمين وقد اتعبتها الوسائل حتى استطاعت ارسال هدية الى الشيخ السنوسي واقنعته بقبولها بسعي احد التجار المسلمين المصريين بعدما اخفقت وكالتها في بنغازي(٥٤) .

وهذه الدعاية كانت متداعية لأن الهدية الايطالية الى السنوسي لم تجعل السنوسي يميل الى ايطاليا كما ان كل ما بذل لمشايخ العربان

قد يهدم بكلمة واحدة وهي ان هؤلاء الايطاليين يريدون ازالة حكم القرآن من هذه البلاد واخضاع المسلمين لاحكامهم وازالة سلطانهم والتمهيد بذلك لاذلال دولة الخلافة ومحوها من الارض(٥٥) .

ثانيا :

مخادعة العرب وغشهم بايهامهم انها تريد ان تجعل حكمهم لشيوخهم وزعمائهم تحت حمايتها وانها تحترم شعائر دينهم وتمكنهم من اقامته والعمل به كما يشاؤون . وقد اوصت الحكومة الايطالية جيشها الذي ارسلته لغزو ليبيا واحتلالها بان يحترم المساجد وكل ما له صلة بالدين وان يبلغوا ما سبق لمشايخ العرب ولكل فئات الشعب ، ويقيس الايطاليون مسلمي طرابلس على غيرها من المسلمين الذين خدعوا من قبل بمثل هذه الوعود حتى اذا تمكن نفوذ الاجنبي فيهم هدم اكثر مساجدهم واغتصب جميع اوقافهم ومنعهم من تعلم احكام دينهم ، وانما يأذن ببعضها دون بعض ، وضيّق عليهم الخناق لاجل ان يتركوا احكامهم في النكاح والطلاق والميراث وبثّ فيهم بنيه يفترون على الاسلام وينفّرون منه ، هذا ولا يجعل لاحد منهم ادنى سلطة في حكومة بلاده .....»(٥٦) .

وهذه الدعامة أوهى من الاولى لان اهل ليبيا انذاك على غلبة الجهل بينهم الا انهم يعرفون دينهم ويعرفون حقيقة ما عليه كثير من اخوانهم العرب والمسلمين الذين سقطوا تحت سلطة الدول الاوربية التي هي اقرب الى العلم والمدنية من ايطاليا وما هي عليه من الذل والفقر والجهل والحرمان من الحرية والمدنية ، واين المدنية التي اقامت اركانها ايطاليا في ارتريا ؟ واين المدنية في جنوب ايطاليا نفسها التي يفر اهلها الى امريكا وغيرها من البلاد المتقدمة(٥٧) .

ثالثا :

بثت ايطاليا في ليبيا الولاية العثمانية ، منذ بداية الوجود الايطالي في شكل تجار ومدارس وبنك وغيرها وذلك قبل الغزو والاحتلال في عام ١٩١١ م ، « فكرة العصبية العربية والتنفير من الترك لانهم اهل ظلم وجور يبغضون العرب ولا يعرفون لهم حقهم ولا ما يوجبه الاسلام لهم . وقد كادت تقوى هذه الفتنة في طرابلس الغرب وفي غيرها من البلاد لسوء ذكرى الحكام المستبدين في العصر الماضي وبما ذاع من امر السياسة الجنسية السوّاى التي بها عرف زعماء جمعية الاتحاد والترقي في

الثلاث السنين الماضية . وحذرناهم من سوء عاقبتها وانذرناهم خطر مغبتها ، فتماروا بالنذر ، واقدموا على ما اقدموا عليه من الاقوال والاعمال السياسية والحربية ، وهذه التفرقة الجنسية بين المسلمين وتقطعهم اممًا مختلفة في الوطن او اللغة هي اقتل آلات الفتك التي حاربتهم بها اوربا باعانة تلاميذها المتفرنجين الذين لا يزالون يبالغون مالا يبالغ الافرنج في التنفير من الرابطة الاسلامية والجامعة الدينية »(٥٨) .

كانت هذه الدعامة من اقوى الدعامات التي اعتمدت عليها اوربا لتقطيع اوصال الدولة العلية وجعل كل ولاية او اقليم من اقاليمها له جنسية مستقلة بالاسم تحت حماية دولة اوربية لا يتمتع الشعب تحت حمايتها تلك من سلطة في بلاده الا بالاسم فقط وفي بعض الاحيان . ولكن ما حدث في ليبيا او طرابلس الغرب كان على عكس ذلك وعلى غير ما توقعت ايطاليا . فقد كانت ايطاليا تظن انه بهذه الدعامة يمكن ان تقضي على العلاقة بين الليبيين والاتراك ومن ثم تزيل سلطة الدولة العثمانية من طرابلس بمعونة اهل طرابلس انفسهم .

ولكن هذه النزعة العصبية لم تنتشر في طرابلس بل ظلت الرابطة الاسلامية هي المهيمنة على قلوب اهلها وكانوا يرون في الاتراك اخوة لهم في الاسلام ، وان كل الظلم الذي عرفوه منهم سببه الجهل باحكام المصلحة العامة ، وانهم اي الشعب التركي كان يُظلَم في بلاده كما يُظلَم في البلاد العربية .

وبعد فشل هذه الدعائم التي اعتمدت عليها ايطاليا ماذا اعدت بعد ذلك ؟ وما هي الوسيلة التي تتوسل بها لحمل الدولة العليّة على اقرارها على غزوها واحتلالها لليبيا وجعل وجودها في ليبيا حقيقة واقعية في القانون الدولي ؟

لقد طرحت المنار الاجابة عن هذه التساؤلات في قولها « يمكننا ان نستنبط جواب هذا السؤال العريض من فحوى الاقوال ، ومن قرائن الاحوال ، ومن الوقوف على بعض مُخبّات السياسة ،ومذاهب الزعماء واهل الرياسة ، وهو ان ايطاليا ترى انها اذااحتلت طرابلس بالفعل فان الدولة العثمانية على اقرارها على الاحتلال امر يسير غير عسير ، لاربعة اسباب : ـ

الاول :

علمها بانه لا يمكن اخراجها بالقوة لضعف اسطولها ومنع انجلترا لها من ارسال جندها بطريق مصر ·

الثاني :

علمها بان اوربا لا تكره ايطاليا على الخروج عملا بقاعدة (ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود الى الهلال) ·

الثالث :

ان بعض اصحاب النفوذ من المتفرنجين العثمانيين يرون مثل هذه الولاية من الاطراف البعيدة عن كرسي السلطنة ولا تستحق ان ينفق عليها شيء من المال لاجل حمايتها او ترقيتها ، وانه اذا امكن الاستعاضة عنها بمال ينفق في العاصمة وما يليها يكون اولى ، وان بيع طرابلس الغرب اسهل واولى من بيع البوسنة والهرسك ·

الرابع :

مساعدة الحزب الالماني في الدولة على ذلك ، ونفوذ هذا الحزب في جمعية الاتحاد والترقي وفي ضباط الجيش العثماني عظيم ومن رجاله المؤثرين دهاقين اليهودية في سلانيك والاستانة وابناء عمهم من الصابئين· [هذه هي اراء ايطاليا او امانيها ·]

اما الصورة التي رسمتها بارشاد حليفتها المانيا لتنفيذ ذلك فهي على ما ظهر لنا ان ايطاليا تدعي بعد احتلال طرابلس انها تريد جعلها ملكا خالصا لها ، وتنذر الدولة العثمانية ببطشتها الكبرى اذا لم تقرها على ذلك ، بان تأذن لاسطولها بضرب ما شاء من موانيها وجزرها واحتلال ماشاء منها ، فعند ذلك تنبرى المانيا للصلح باسم الصداقة والمحبة الخالصة لهذه الدولة ولجميع العثمانيين والمسلمين لا كما قيل ، وتخدمها كماخدمتها في مسالة بيع البوسنة لحليفتها الاخرى (النمسا) فتاخذ مبلغا من المال وتحمل ايطاليا على الاعتراف بسيادة السلطات الاسمية على طرابلس »(٥٩) ·

★ خاتمة ★

قبل ان اقول وجهة نظري فيما كتبته « المنار » اود ان ابرز هذه

الاسطر القليلة من المقال العاشر لمقالات المسالة الشرقية والذي كان بعنوان « خاتمة المقالات ، شجون ومحاورات » والذي تناولت فيه المجلة كما جاء في بداية المقال : ـ

« لكل شيء مادح وقادح ولكل كلام مقرظ ومنتقد ، ولقد رأيت ان اختم هذا المقال بشكر الراضين عن مقالات المسالة الشرقية ، والاعتذار عما اقترحوا وتفصيل القول في نقد الناقدين والعفو عما اجترحوا » ·

اما بالنتيجة العامة في رأي مجلة المنار فهي : « ان مقالاتنا في المسالة الشرقية لم يقصد بها الا ما ذكرنا : من دفع الخطر عن دولتنا وامتنا وقد دعونا فيها غير المسلمين من اهل مملكتنا لمشاركتنا في هذا الدفاع عن الدولة من حيث الجامعة العثمانية ، كما دعونا فيها المسلمين الى مشاركتنا من حيث الجامعة الاسلامية والشرقيين الى مساعدتنا من حيث الجامعة الشرقية ، وان غير المسلمين من العثمانيين لم يكونوا اشد غيرة وحدبا علينا من وَثَنِيِّ الهند ، ومع هذا كله لا ندعو الا الى تقوية الرابطة بهم ، وحفظ الحقوق الوطنية بيننا وبينهم ، ونحن مع من يساعدنا من الاوربيين ، ولا ينكر علينا احد اننا نشكر للمحسن احسانه ونعرف لصاحب الجميل جميله ولا ننكره ··· »

لقد كان موقف مجلة المنار من اقوى المواقف في الصحافة العربية سواء اكانت يومية او اسبوعية او غيرها ، ولم تكن في موقفها هذا سلبية ، مهمتها الخبر فقط ، مثل مجلة الهلال ، ولم تكن تابعة سايرة في ركاب الدولة العثمانية تنشر ما يهم الدولة فقط ·

كما انها لم تكن مثل « طنين » و « العرب » ، وقد كانتا ضد الدولة العثمانية في دعوتهما للفكاك منها · بل كانت مجلة المنار تحلل الخبر وترجعه لاصوله التاريخية وتقول رأيها في حكام الدولة بصراحة ناقدة لهم نقدا موجها متزنا خال من الانفعال وعدم الالتزام ·

ففي المقالات العشر التي تناولت فيها مسالة الغزو والاحتلال الايطالي لليبيا تحت اسم « المسالة الشرقية » اوضحت بجلاء تَسيُّب نظم الادارة والحكم في الاستانة وعدم اهتمام جماعة الاتحاد والترقي بما يجري في الولايات التابعة للدولة عامة والعربية خاصة · وقارنت حكم الاتحاديين بالحكم في عهد السلطان عبدالحميد ، كما نقدت سياسة الاتحاديين العنصرية نقدا قويا مركزا وبينت لهم ان سياستهم ستنهى الخلافة وسيكون مصير ولاياتها الوقوع في براثن الاستعمار الصليبي المتربص بها ، وهذا ماحدث فعلا · كما نقدت العلاقات العثمانية الالمانية ودور المانيا في مساندة حليفتها ايطاليا وهي صديقة الدولة

العثمانية ! ودعت الشعوب الاسلامية الى مقاطعة ايطاليا اقتصاديا كما نادت بالتطوع والتبرع للمجاهدين الليبيين ·

الهوامش

١) Abbott, G. F. The holy war in Tripoli.

٢) Bennett, E. With the Turks in Tripoli.

٣) خشيم، حسن علي : صفحات من جهادنا القومي ص ٧٨

٤) زيادة ، نقولا : ليبيا في العصور الحديثة ص ٥٨

٥) مجلة المنار الجزء العاشر المجلد ١٤ ص ٧٨١

٦) الدجاني ، أحمد صدقي : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي ص ٢٤٧

٧) الرائد انتوني ج : ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني ص ١٣٩

٨) الدجاني : المرجع السابق ص ٣٢٦

٩) الدجاني : المرجع السابق ص ٣٢٧

١٠) الرائد انتوني : المرجع السابق ص ١١٨

١١) الدجاني : المرجع السابق ص ٢٤٥

١٢) المرجع السابق ص ٢٢٨

١٣) المنار الجزء ١١ م ١٤ ص ٨٥٥

١٤) المنار المرجع السابق ص ٨٥٦

١٥) المنار المرجع السابق ص ٨٥٧

١٦) المنار المرجع السابق ص ٨٥٧

١٧) ، (١٨) المنار المرجع السابق ص ٨٥٧ـ٨٥٨

١٩) كانت تعمل في ولاية طرابلس المحاكم التالية : أ ـ المحاكم الابتدائية توجد في المراكز ومحكمة الاستئناف والمحكمة التجارية وكلاهما مقرهما طرابلس · اما محكمة النقض فمقرها الاستانة

٢٠) المنار المرجع السابق ص ٨٥٨ ـ ٨٥٩

٢١) المنار المرجع السابق ص ٨٥٩

٢٢) كم يكون جميلا لو قام باحث يعرف الايطالية بكتابة بحث عمّا في هذه الصحف وترجمتها الى العربية للفترة قبيل الغزو ومقارنتها بما في الصحف المحلية العربية

٢٣) المنار الجزء ١١ م ٤ ص ٨٥٩

٢٤) المنار الجزء ١١ م ١٤ ص ٨٦١ ـ ٨٦٢

٢٥) المنار الجزء ١٣ م ١٤ صص ٧٨١ـ٧٨٢ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٢٩هـ / ١٩١١/١٠/٢٢ م ٠

٢٦) المنار الجزء ١٠م ١٤ بتاريخ ٢٩شوال ١٣٢٩هـ/٢٢ اكتوبر١٩١١م٠

٢٧) مجلة الهلال الجزء الاول من السنة العشرين اكتوبر ١٩١١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤

٢٨) المنار : المرجع السابق ، ص ٧٨٢

٢٩) مبعوثا طرابلس اي نائبا الولاية فيما يمكن ان نسميه مجلس الشعب او النواب

٣٠) مجلة المنار جـ ١١ م ١٤ بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩١١ الموافق ٣٠ ذى القعدة ١٣٢٩ هـ

٣١) المنار ـ جـ ١١ م ١٤ ص ٨٦١ ـ ٨٦٧ (ترجمة تقرير مبعوثا طرابلس الغرب)

٣٢) مجلة البلاغ جـ ١١ م ١٤ ص ٨٦٧

٣٣) واضح من الاسماء انهما من الاتراك وليسا من الليبيين او من سكان الولاية الاصليين

٣٤) و ٣٥) المنار جـ ١٠ م ١٤ ـ ص ٧٥١

٣٦) المنار جـ ١٠ م ١٤ ص ٧٥٢

٣٧) ، ٣٨) ، ٣٩) المرجع السابق ص ٧٥٤

٤٠) المنار ج ١١ م ١٤ ٠ المقالة الثانية ١٩١١/١١/٦ ص ٨٣٤ ـ ٨٣٥

٤١) يقصد بهم جماعة الاتحاد والترقي

٤٢) المنار جـ ١١ م ١٤ ص ٨٣٣

٤٣) المرجع السابق ص ٨٣٦

٤٤) المرجع السابق ص ٨٣٦ـ٨٣٨

٤٥) المرجع السابق ص ٨٤١

٤٦) المنار المرجع السابق ص ٨٤٦ـ٨٤٧

٤٧) المنار المرجع السابق ص ٨٤٩

٤٨) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٢٣ـ٩٢٤

٤٩) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٢٤

٥٠) ، ٥١) ، ٥٢) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٢٥

٥١) المرجع السابق ص ٩٢٦

٥٢) المرجع السابق ص ٩٢٧ ـ ٩٢٨

٥٣) هذا التاجر هو الشيخ محمود كمال

٥٤) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٢٧

٥٥) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٢٢

٥٦) المرجع السابق ص ٩٢٩

٥٧) المنار ج ١٢ ـ م ١٤ ص ٩٢٩ـ٩٣٠

٥٨) المنار ج ١٢ م ١٤ ص ٩٣٢

(أ) المصادر : ـ

مجلة المنار جزء ١٠ مجلد ١٤ ، اكتوبر ١٩١١

مجلة المنار جزء ١١ مجلد ١٤ ، نوفمبر ١٩١١

مجلة المنار جزء ١٢ مجلد ١٤ ، ديسمبر ١٩١١

مجلة المنار جزء ١ مجلد ١٥ ، يناير ١٩١٢

مجلة المنار جزء ٢ مجلد ١٥ ، فبراير ١٩١٢

مجلة المنار جزء ٣ مجلد ١٥ ، مارس ١٩١٢

مجلة المنار جزء ٤ مجلد ١٥ ، ابريل ١٩١٢

مجلة المنار جزء ٧ مجلد ١٥ ، يوليو ١٩١٢

مجلة المنار جزء ١١ مجلد ١٥ ، نوفمبر ١٩١٢

مجلة الهلال الجزء الاول السنة العشرين ١٩١١

(ب) المراجع : ـ

١) احمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن ١٩ ـ القاهرة ١٩٦٧ م

٢) احمد صدقي الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي ـ القاهرة ١٩٧١

٣) جان ديبوا : الاستعمار الايطالي في ليبيا بنغازي ١٩٦٨ ترجمة هاشم حيدر

٤) جمال زكريا قاسم : موقف مصر من الحرب الطرابلسية ـ المجلد ١٣ ـ المجلة التاريخية المصرية

٥) حمدي علي خشيم : صفحات من جهادنا الوطني ـ طرابلس ١٩٧١

٦) حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ـ القاهرة ، ١٩٦٢ ـ ١٩٧١ .

٧) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ـ طرابلس ١٩٦٣

٨) خليفة التليسي : ملحمة معارك الجهاد في ليبيا ـ بيروت ١٩٧٢

٩) مصطفى بعيّو : المختار في تاريخ ليبيا ـ ثلاثة اجزاء ـ بنغازي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٥

١٠) نقولا زيادة : ليبيا في العصور الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٦

١١) الرائد انتوني ، ج : ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني

١٢) عبدالكريم غرايبة : دراسات في تاريخ افريقيا العربية ٠

١٣) فرات سكوكورد : ليبيا اثناء العهد العثماني ، ترجمة خليفة التليسي طرابلس ١٩٧١

١٤) محمد علي الحداد : حاضر طرابلس الغرب

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE RECHERCHES ET D'ETUDES ARABES
عضو اتحاد الجامعات العربية